

خطاب جلالة الملك بمناسبة الذكرى العاشرة
لجلوس جلالته
على عرش المملكة المغربية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

أستهل التوجه اليك بالخطاب باسم العزيز الوهاب، وقد أنسنا كلما حلت ذكرى جلوسنا على عرش أجدادنا رضوان الله عليهم أن نحتفل نحن وإياك بهذه الذكرى احتفالا يستثير كوامن النفس وذخائر الوجدان لما يحمله هذا الاحتفال من صنوف المعاني ويدل عليه من ضروب الدلالات، فالمسرة التي يشيعها في القلوب حلول هذا اليوم المحظوظ المحبوب ويتهلل لها أديم الوجوه مردها الى الينابيع الثرة من المشاعر المتدفقة والى الأسراب من الذكريات المستثيرة والأفواج من الأفكار المتعاقبة على العقل المتواصلة بثلج الايمان وسكينة الاطمئنان.

فإذا كان احتفالنا بهذه الذكرى يفجر في القلوب مشاعر الاعتزاز بالماضي المجيد، والحاضر الذي لا يجور عن القصد ولا يحيد، ويطلق العنان للتفكير الذي يوازن ويقارن ويحاسب ويراقب ويقدر ويقيس، ويستخلص النتائج والآثار ويفضي في نهاية المطاف الى التزكية والرضا والتسليم والاقناع بصواب القصد وحسن الاختيار، فما ذلك إلا لأن هذا الاحتفال بذكرى جلوسنا على عرش آبائنا الأكرمين يجسم اللقاء الأكبر بين عاهل البلاد وشعبه ويشخص ما بين عرش مملكتنا وبين آمال وطننا من وشيجة مكينة وموعد موعود.

وإن الآصرة التي وثّق عراها إخلاص الراعي للرعية ووفاء الشعب لقائده وحامي حماه، لهي الأصل المكين الذي تقلصت عنه المطامح والمطامع، والركن الركين الذي تحطمت على قواعده ودعائمه الغوائل والمكاره، والبنيان الراسخ الذي صمد في وجه صروف الدهر ونوائبه، فأمن معه كيان الدولة عوادي الاندثار والانهيار، وأمكن به الانبعاث والانطلاق، والاسراع الى تقويم المنآد وتدارك النقص وتلافي الخلل برسم أهداف الانتقال من طور لا ترتاح اليه النفوس الى طور تريده وتبتغيه وترتضيه، وتحديد أغراض التحول من حال العطل والعوز والافتقار الى حال الرَغد والرخاء والازدهار.

ومنذ أناط الله بنا شعبي العزيز رعاية شؤونك ووكل الينا تصريف أمورك ووقف علينا النظر فيما يدر الخير عليك ويجسد السعادة في رحابك منذ ذلك اليوم واخلاصنا لك اخلاص لا يلحقه نقصان، ووفاؤك من جهتك لشخصنا وفاء لا يعتريه تقصير أو خذلان، وقد شاءت عناية الله أن تزيد على توالي الأيام الصلات بيننا وبينك استصحاباً واستحكاماً والمشاعر المتبادلة والعواطف المتقاسمة تعزيزاً وتأكيدًا والتناصر والتآزر والتكاتف والتضافر تمكيناً وتوطيدًا.

ولئن خلا على مسيرتنا وإياك عشرة أعوام كاملة فان هذه الحقبة من الزمن شهدت من أعمالنا وأعمالك وجهودنا وجهودك ما يدعو إلى التفاؤل والاستبشار، ويؤجج الهمم والعزائم ويلهب الارادات المتطلعة إلى اقتناء المحامد والمكارم.

لقد صرفناها شعبي العزيز جميعًا متساندين متكافلين في إرساء قواعد الاستقلال المستعاد وإعلاء شأن وطننا بين الأوطان وإعزاز جانبه بين الأنداد والأقران، وهكذا طوينا جميعاً صفحات من تاريخ هذه الأعوام العشرة السالفة، سطرناها متعاونين على أديمه الناصع من مساعيه الناجحة ما يقوم شاهدًا على سابق اخلاصنا وثابت ولائنا للوطن العزيز وعطرناها بالغر من أعمالنا المتواترة المترادفة الناطقة بما وفقنا الله اليه من جميل المقاصد الدالة على ما حبانا به من يانع القطاف وجني الثمرات.

وفي أثناء هذا الظرف من الزمان واليت استقصاء خطانا بتدبر واستبصار وفحصنا ما اليه رمينا وقصدنا، واتجهت اليه الرغبة والمراد وما أجمعنا عليه الرأي ووقع عليه الاختيار وما أنجزته عنايتنا من مشاريع لصالحك وحرصنا على تحقيقه من برامج لرفع مستواك وتحسين أحوالك.

وتتبعنا نحن ما أسهمت به من أعمال والزمت به نفسك من مشاركة في التحقيق والانجاز تتبع الساهر الذي يؤرقه الحدب والرعاية ويصاحبه حيث ما حل وأقام الانتباه والاهتمام، فأفضى ما بذلناه من جهد جهيد وسعي مديد وأوليناه من اعتناء عتيد وما ساندت به دؤوبنا وآزرت به طموحنا أفضى الى الثقة التي استحكمت بيننا وبينك على مر الأعوام والتجاوب الذي توالت مظاهره ومآثره بتوالي الحقب والأزمان.

وبفضل توافق المطامح والغايات وترافق العزائم والارادات وتساوق الكثير من صالح المنجزات يخيل الينا أن العقبات ولو كانت كأداء غير قادرة على أن تصدنا عن سبيل القصد وأن الحواجز أية ما كانت عاجزة عن الحيلولة بيننا وبين بلوغ ما رسمناه لأنفسنا من أهداف وسلوك ما تبيناه من طريق في الأخذ مما توخيناه من تنفيذ وتطبيق.

وليس بعازب عنك شعبي العزيز أن الظروف التي عرفتها بلادنا قبل الاستقلال وبعده اقتضت منا أن نساهم بحظنا الى جانب والدنا جلالة محمد الخامس رضي الله وأرضاه في معركة التحرير ودعم الاستقلال المستعاد، فقد كتب الله لنا أن نشارك في عهد الحجر والحماية وعهد الحرية والانطلاق بالرأي الصادق الأمين والمساعدة في كل آونة وحين وقيادة الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية والنيابة عن العاهل الراحل أسكنه الله فسيح جناته وتغمده بواسع رحمته وغفرانه في حالَي حضرته ومغيبه وسفره ومقامه.

كما كتب لنا من قبل أن نقاسم الملك الالمعي الهمام والبطل المقدام طيب الله ثراه وأحسن مثواه أطوار السراء والضراء والتضحية والفداء.

فكان لنا من هذا كله، متمرس بمعالجة المشاكل وتأهيل لتحمل المسؤولية العظمى ولم تنحصر جهودنا في الأعوام العشرة السالفة وإنما كانت هذه الجهود المبذولة بأسلوبنا الخاص وطريقتنا التي ألفتها منذ جلوسنا على عرش الدولة العلوية امتدادًا واستمرارًا لما تقدمها من مجهود عرفت مداه وسعي لم تغب عنك جدواه.

فإذا نحن احتفلنا اليوم بالذكرى العاشرة لمبايعتك لنا وإلقائك إلينا بزمام أمرك وأنت مؤمن بحسن تصريفنا لشؤونك وبالغ عنايتنا بأمسك ويومك وغدك مثلما آمن آباؤك الأولون بحدب أجدادنا الأكرمين ورعايتهم لسالف عهدهم، واهتمامهم بما جل وصغر من أحوالهم فانما هو احتفال تمجيد للاسترسال وتكريم للجليل من المبادرات والأعمال التي نأمل ان تتواكب وتتعاقب وتتيح لنا أن نخاطبك في مثل هذا اليوم مرات بعد مرات مشيدين ومنوهين.

فالحمد لله الذي عززنا بتأييده وثبت خطانا بتوفيقه وتسديده وعرفنا مسالك الهداية ومهد لنا سبيل الوسائل والأسباب التي نرجو أن تدرك بها الأهداف القريبة والأغراض المترامية البعيدة.

وأن من نعم الله التي تستوجب منا الذكر العاطر والثناء والوافر والشكر الذي يضاعفها بالعمل الصالح والسعي الناجح أن يسر الله لنا خلال السنة المنصرمة الانكباب على أصناف شتى من القضايا البالغة الأهمية وسهل لنا طريق البتّ فيها بما نأمل معه جميل ثوابه وكريم احسانه والنفع العميم والخير الحافل المستديم.

شعبي العزيز

سنتناول في خطابنا هذا كما فعلنا في السنة الماضية القضايا التي تستأثر بالنصيب الأكبر من تفكيرنا والحظ الأوفر من عنايتنا سواء اتصلت هذه القضايا بشؤوننا الداخلية أو كان لها ارتباط بالمشاكل الدولية التي تشغل البال وتقض المضاجع.

وستجد شعبي العزيز مثلما كان الشأن في ذلك كالسنة الماضية في النشرات التي ستصدرها وزارتنا في الأنباء الأعمال التي باشرتها وزاراتنا على اختلافها والمنجزات التي تعتزم القيام بها خلال السنة الجارية.

شعبي العزيز

إن المغرب بلدك هذا منذ أن يسر الله سبحانه وتعالى له أن يتمتع بجميع مقومات الدولة التي هي معروفة في العرف الدولي من حدود معترف بها وجنسية مكرمة وعلم ووطن منذ ذلك اليوم وهو يجاهد ويقاتل ويعمل ويجد ويكد ليبقى ذلك المغرب الذي أراد أن يبقى ويستمر.

وكان جهاده في كل عصر من العصور وفي كل قرن من القرون يكتسي ألواناً وضروباً من الدفاع عما يراه ضروريًا أن يدافع عنه لدرء مفسدة أو جلب مصلحة.

ومما أنعم الله به على هذا البلد الأمين أنه في كل المعارك التي قام بها على ممر العصور والقرون خرج من معركته منتصرًا مرفوع الرأس وفي السنين الأخيرة أراد الله بهذا البلد أن يمتحنه وأن يبلوه فجعله يرزح تحت ثقل وعبء العبودية والحجْر والحماية، وذلك ليبلوه كما قلت مرة أخرى حتى يعرف هل شوكته مازالت تلك الشوكة المعروفة ؟ هل غيرته مازالت تلك الغيرة المعروفة ؟ أم المغرب الذي عرفه أجدادنا لم يكن المغرب الذي عرفناه.

وإننا لنحمد الله أنه ترك المغاربة أسدًا وجنودًا أبرارًا لا يرضون الضيم فخاضوا معركة التحرير بقيادة والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه الى أن انتصر المغرب في معركته وإلى أن بدلنا من حال الى حال وأبدلنا نظام الحماية بنظام الحرية.

معركة المغرب اقتصادية

و لم ترد عناية الله و لم يرد طموحنا جميعا كذلك أن نقف عند حدود تلك المعركة، معركة التحرير السياسي بل أبت عناية الله إلا أن نتفتح وتتفتح أذهاننا أمام المعركة الحاسمة الجديدة معركة النصف الثاني من القرن العشرين ألا وهي معركة الازدهار الاقتصادي.

كان من الممكن أن نغفل عن هذه المعركة كان من الممكن ان نبقى كما بقيت دول نتمشدق بالشعارات



واللافتات نتيه بين الخرافات ونتيه بين المذاهب الفلسفية ناسين ما علينا جميعاً ملكًا وشعبًا وحكومة من واجب لرفع مستوانا ولضمان العيش لابنائنا وهذه المعركة معركة القرن العشرين في نصفه الثاني كما قلت لكم هي معركة اقتصادية بالأساس معركة آتي فيها بأربع أسبقيات.

الأسبقيات

سبق لنا أن تكلمنا معكم وتذاكرنا عما نراه في الناحية الفلاحية أو الصناعية أو التجارية أو السياحية ولا نريد هنا أن نكرر ما جاء ولكننا نرى بهذه المناسبة التي هي مناسبة عزيزة عليك شعبي العزيز وعلي، أن نضع المعالم في طريقنا حتى لا نخرج عن الطريق أونحيد.

نرى من المناسب أن نلقي فلسفة وأن نضع خططًا حتى يعلم كل واحد منا جنوبًا كان أم شمالا شرقًا أو غرباً كان آمراً أو مؤتمراً كان موظفاً سامياً او كان مواطناً عادياً ما هي الأهداف وما هي الخطى التي ستؤدي الى الوصول الى تلك الاهداف.

إن المغرب كجميع الدول النامية يجد نفسه حينما يتناول مشكل الفلاحة أمام مشكلين : ربما يظهر من الصعب التنسيق بينهما والجمع بينهما ألا وهما المشكل الاجتماعي والمشكل الاقتصادي فيما يخص الفلاحة.

ولكن هنا يجب علينا أن نتريث ويجب علينا ان لا يطغى علينا الجانب الاجتماعي السطحي بالنسبة للمشكل الاجتماعي الحقيقي الا وهو تجنب توزيع الفقر واتباع الطريق المثلى وهو توزيع الغنى.

وحينما أقول هذا أريد شعبي العزيز أن أوضح شيئا ما تفكيري وفكرتي : إذا نحن في سنة 1971 ركبنا السياسة السهلة التي تؤدي بنا إلى أن نوزع الأرض على كل فلاح، وأن نعطي لكل واحد من الفلاحين قطعة لا تتجاوز خمسة هكتارات فلربما نرضيه حالا وسوف نُزعجه مآلا.

والغنى الذي نكون وزعناه في سنة 1971 سيصبح فقرًا بعد عشر سنوات، إذا ما تزوج ذلك الفلاح وولد أولاده وكبروا ولم يجدوا ما ينفقون بل سوف يتعدى ذلك الفقر تلك الأسرة الصغيرة يمتد الى الأسرة الكبيرة ألا وهي الوطن المغربي.

وبمليون هكتار الذي نريد أن يكون كله مسقياً سوف يمتد ذلك الفقر الى هذه المجموعة حيث إننا لن نخرج من تجارة الاستهلاك واستثمار الاستهلاك بل سنبقى فيه والحالة هذه اننا نأمل أن يكون إنتاجنا الاقتصادي مجيبا الى الحاجيات الصناعية ومجيبا الى الأسواق الداخلية والعالمية والجهوية حتى نخرج من تجارة الاستهلاك الى تجارة التبادل على أكبر مستوى وفي أوسع نطاق.

فحينما نقول الاصلاح الفلاحي والزراعي لا نعني بهذا أننا من الواجب علينا أن نعطي لكل مغربي مغربي حظًا من الأرض وقد توصلت الى عملية حسابية سهلة : إذا قدرنا أن المغاربة يبلغ عددهم 14 مليونا وإذا كانت نسبة الفلاحين فيها بمثابة 80 في المئة سيصبح الفلاحون عددهم 11 مليون فإذا نحن أعطينا لكل واحد منهم 5 هكتارات كما يقول البعض أو يتمشدق به البعض سيصل هكتار واحد الى 11 مليون هكتار وإذا نحن أعطينا 5 هكتارات لكل واحد سنصل الى 55 مليون هكتار بمعنى الى ما يزيد على 500 ألف كلم مربع التي هي مساحة وطننا.

فحينما كنت أقول لكم بان المغرب اتجه الى خوض المعركة الاقتصادية بمعزل عن الديماغوجية وعن الأحلام وعن الترهات أقولها وأنا ارتكز على أرقام.

فلا يمكن إذن أن نعطي لكل مغربي مغربي 5 هكتارات وحتى لو تمكنا من ذلك لاعطيناه هذه السنة الغنى وفي السنوات المقبلة الفقر المدقع.

وكيف الخروج من هذا كله، الخروج والمناص هو أن نرى فلاحتنا في مجموعة اقتصادية شاملة جامعة بين فلاحة، وفلاحة صناعية، وتجارة على الصعيد الاقليمي والجهوي والوطني ونطاق البحر الأبيض المتوسط والقارة الافريقية والأوربية.

فإذا نحن عرفنا كيف نخلق الوحدات الفلاحية التي نعطي لكل واحد من الفلاحين الحد الأدنى من الأرض ليعيش الآن وفي السنوات المقبلة عيشة مرضية غنية وإذا نحن خططنا تخطيطاً فلاحياً وجمعنا الفلاحين لا أقول في تعاونيات ولا أقول في أنظمة اشتراكية دلت التجربة على فشلها، ولكن في اطار عقدة من عقد التعامل التي يعمل بها بين الجيران وبين الشركاء فإذا نحن أخذنا برأسنا وذهننا وأفكارنا وخرجنا من الطرق المعروفة لنتخطى العقبات ولنبحث عن مناهج جديدة وإذا نحن أتعبنا النفس وأتعبنا التفكير، لنا اليقين أننا سنصل إلى أن نعطي الأرض لأكثر ما يمكن من الناس ونعطيهم حظًا أكثر من 5 هكتارات ونعطيهم الغنى في الحال والمآل، وأكثر من هذا أن نعطي الشغل لكل من يجاور الفلاح من صناعة فلاحية ومن تجارة فلاحية ومن رواج في الداخل والخارج.

لذا ارجوك شعبي العزيز أن لاتنساق الى بعض الأقوال والى بعض الأحلام التي تلذُّ في العين ولكن لا تلمسها اليد بل لنذهب نحلم جميعًا أنا وإياك لا بالترهات ولا بالمذاهب الفلسفية الفارغة التي أكل الدهر عليها وشرب ولكن لنحلم بالابتكار نحلم بالماضي المرتكز على الغنى وإن كانت طريقته صعبة عوضًا عن الفقر ولو كانت طريقته منكمشة وراء أحلام لذيذة شيقة.

أما العنصر الثاني من عناصر الازدهار الاقتصادي، فكما قلت لك آنفا، هو مبني على الصناعة والصناعة في بلدنا هذا موقوفة على أشياء متعددة منها استثار رؤوس الأموال الأجنبية، واستعمال رؤوس الأموال المغربية في غير الميادين التي عملت فيها في الماضي.

فصناعتنا عليها أن تكون مبنية على أسس حاجيات البلاد. عليها أن تكون مكملة لما نستورده من الخارج. عليها كذلك أن تكون مرسومة بدراسة دقيقة لجودة المنتوجات وأسعار المنتوجات.

وهنا شعبي العزيز أريد أن أتكلم معك في هذا المشكل الذي تحس به أكثر مما أحس به ألا وهو مشكل الأسعار ومشكل الأجور.

من أعوص المشاكل تحديد الأسعار بكيفية تقنية وعملية وعلمية وللوصول الى هذا التحديد نرى من الواجب في ذهننا جميعا أن نقسم الأسعار حسب المستهلك.

فهناك الأسعار لما يستهلك وهو ضروري مستورد كان أم غير مستورد.

هذه أسعار على الدولة أن تعمل ما في إمكانها أن لا تتصاعد.

هناك أسعار لما يستهلك ولكن هو غير ضروري، هناك على ما تراه الدولة من ضروري مدخول الجمارك

عليها أن تضع أسعارها على هذا النوع من المستوردات.

وهناك ما يستورد قطعًا ويركب في المغرب، وهناك مايستورد وهو متمم التركيب.

وفي كلتا الحالتين علينا جميعاً أن ندرس وعلى حكومتنا والتقنيين أن ندرس جميعًا ما هو ثمن المادة الخام ؟ وما هو ثمن اليد العاملة في صناعة ذلك الشيء المستهلك ؟ وما هو الربح الضروري لكل صانع أو منتج ؟ وإذ ذاك نحدد السعر مما نستورده مقطعا ونركبه هنا أو نستورده كاملا ونبيعه هنا.

فإذا نحن فسرنا في أذهاننا مستهلكاتنا في هذه الأقسام الأربعة سهل علينا إذ ذاك أن نضع العملية الحسابية التي قلناها آنفا.

ولكن هل معنى هذا أن تحديد الأسعار سيجعلنا لا ننكب على مشكلة الأجور ؟ أبدا.

الصراحة أساس العلاقة بين العرش والشعب

إنك ألفت مني شعبي العزيز أن أخاطبك بالصراحة وأن أقول لك ما في نفسي وما في قلبي.

والحقيقة شعبي العزيز أنني أتألم مثلما تتألم من عدم رفع مستوى الأجور.

فمنذ سنوات ارتفعت الأسعار بكيفية باهظة وبقيت الأجور على ما كانت عليه.

وإنك لتعلم أنه لو كان لنا من الموارد ما يمكننا من رفعها في الحين لفعلنا، ولسارعنا الى فعل ذلك.

إلا أننا أصدرنا أوامرنا الى حكومتنا لتعكف وتعمل على دراسة مشروع يمكنها كل سنة أو كل سنتين، أو كل ثلاث سنوات من وضع أجور الطبقة المعوزة من الموظفين أو المتوسطة من الموظفين بكيفية معقولة لا تؤدي بصحة عملتنا الى مرض ولا تؤدي كذلك الى زيادة يقال فيها إنها زيادة غير مجدية.

فإذا نحن درسنا الأسعار دراسة تقنية وتركنا للمنتج وللتاجر وللصانع ربحه المشروع، وإذا نحن من جهة عملنا وعكفنا على دراسة الأجور ورفع مستواها لا دفعة واحدة ولكن بنسبة مئوية كل سنتين أو كل ثلاث سنوات أمكننا أن نجعل ذلك البون الشاسع والفرق الكبير الذي هو موجود بين أجور وأسعار اليوم فرقاً وبونا يتقلص ببطء حتى يمكن للأجور والأسعار أن تسير في القريب العاجل سيراً متوازيًا.

أما التجارة فكما تعلمون ليست هي التجارة التي قلت لكم تجارة الاستهلاك، الاستهلاك الداخلي ولكن هي التجارة، التجارة على صعيد القارات، فالمغرب ينتج مواد فلاحية ومعدنية وصناعية ريثما ينتج إن شاء الله ما نأمله أن ينتج بحول الله وقوته ومنه وكرمه، فائضا على منتوجاته فلاحية كانت أو معدنية أو صناعية أن تكون أولا جيدة وأن تكون ثانياً تستجيب الى رغبات الزبناء وثالثًا يجب أن تكون أثمانها متناسبة مع الأثمان التي يعمل بها في الخارج وعلى تجارنا ووزارتنا في التجارة والصناعة ووزارتنا في الفلاحة ومن جميع وزاراتنا الاقتصادية أن ترى أن تجارتنا لا يمكنها أن تسير الا إذا رأت أنها لا تعمل داخل المغرب فقط ولا داخل مجموعة من دول فقط وإنما تريد أن تتسع وتزدهر وأن تفوق آفاق المغرب وحدود المغرب.

أما السياحة فأنت تعلم شعبي العزيز ما أعلق عليها من آمال لأنها هي التي ستدر الخير العميم على هذا البلد الأمين من العملة الصعبة.



هذه هي شعبي العزيز مقومات وأساس المعركة الاقتصادية والنمو والازدهار الاقتصادي الذي دعوتك إليه والذي نخوض معركته منذ عشر سنوات، ولا يتأتى الانتصار في هذه المعركة، إلا بشرط واحد، ألا وهو تكوين الأطر الصالحة تلك الأطر التي بدونها لا يمكننا أبداً أن عمل مجدي، علينا أن نكوّن أطرا صالحة ، واعية صبورة.

وأتوجه الآن الى الشباب فأقول له :

معركة الشباب المغربي طويلة

ان المعركة التي تخوضها، أيها الشباب المغربي، هي معركة طويلة، يجب عليك وعلينا نحن، أن نختار السلاح الذي ستتسلح به لخوض معركة الحياة فبعد التفكير والتنقيب وجدت نفسي شخصيا أمام تجربتين من أعجب ما يمكن أن تكون التجربة، هناك تجربة رأسمالية محضة وهي تجربة الولايات المتحدة وهناك تجربة اشتراكية محضة وهي تجربة الاتحاد السوفياتي، وكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، أمكنه ان يخترق الفضاء وأن يصير عملاقًا من عمالقة التاريخ.

لماذا ؟ لأن هذا النظام وذاك كل بوسائله قررا ألا يجعلا من الكليات ملجأ خيريًا، فلا يدخل للكلية الأمريكية كيفما كانت ولا يدخل للكلية الروسية كيفما كانت إلا من كد حقيقة واجتهد وجاهد طيلة السنوات الابتدائية والثانوية والعليا، وتمكنوا بذلك أن يخلقوا جيلا شابًا فتيًا في آن واحد صالحًا في آن واحد وأن يدخروا أموالا جسيمة وأن يتداركوا الأموال التي دفعوها في اختراعاتهم، وفي انتاجهم الصناعي والتقني.

على أطرنا أن تكون واعية صالحة صبورة

فعلينا اذن ان ننظر إلى تعليمنا بعين جديدة ونفكر فيه بتفكير جديد، ولا يمكننا أن نفكر في هذا الباب إلا إذا فكرت أنت بدورك أيها الشباب المغربي على أن المدرسة والكلية لا يمكن ان تكون بحال من الأحوال ذلك البيت الذي يذهب اليه التلميذ أو الطالب آونة ويخرج منه آونة أخرى، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون المدرسة والكلية مجالا للعبث وإنما مجال للاقتناء وللعلم وللتعليم، على أطرنا بعد أن تكون صالحة أن تكون واعية، واعية بجسامة ما هو ملقى على عاتقها، واعية بما تثب إليه همم المواطنين فعلى الآلاف من الذين ينكبون على الدراسة أن يعلموا ان الآمال المعلقة عليهم ليست مقصورة على أوليائهم وابائهم ولكن هي آمال المجموعة المغربية كلها فكل مغربي يتعلق أمله بذلك المهندس كل مغربي أمله معلق بذلك الطبيب، كل مغربي أمله معلق بذلك الحيسوبي، كل مغربي أمله معلق بذلك الأستاذ، فإذا وعت أجيالنا الصاعدة، وأطرنا الناشئة، فإذا وعت وأحست بأن الآمال المعلقة عليها لا تنحصر في أسرتها وإنما هي آمال كل من يراها تغدو وتمسي وهي رائحة من المدرسة إذا وعوا بهذا كله وفهموه وتفهوه لي اليقين أن غيرتهم الوطنية وحسن مواطنتهم ستجعلهم ينكبون على دراستهم باستمرار ووعي.

وأخيراً على أطرنا أن تكون صبورة، صبورة لأننا نعمل فوق ما في جهدنا لارضائها ولكن لا يمكننا أن نعطي أكثر مما عندنا ولا يمكننا أن نجعل من ميزانية التعليم ميزانية تستهلك جميع الموارد للدولة ولتعلم أننا كلما وفرنا شيئاً من المداخيل كانت لهاته الناشئة ولهذا الشباب الحظ الأوفر لتلك المداخيل.

قلنا شعبي العزيز ان المعركة التي نخوضها هي معركة الازدهار، وحللنا مراكزها وجللنا أسسها وبعد



ذلك حللنا شروطها والآن بقي علينا أن نقول بأننا لم نستكمل بعد جميع عناصر الثروة المغربية وان بعض العناصر من هذه الثروة خارجة من أيدينا منها عنصر فلاحي ومنها عنصر تجاري.

الأرض لنا لا لغيرنا

وإنني لأتذكر انني غداة اليوم الذي تقلدت فيه أمرك شعبي العزيز، قررت في مجلس وزاري وخرج بذلك بلاغ أن الأرض لا يملكها إلا المغاربة، وقد استرجعنا أراضيك كما في علمك، وها نحن منكبون على المشكل، مشكل الأراضي التي مازالت خارجة عن أيدينا، أما التجارة كنا وعدناك بالعمل على مغربتها في السنة الماضية، ولم نغفل شعبي العزيز، عن الوعد الذي وعدنا به، إلا أننا بعد الدرس و التمحيص وجدنا أن هذه المغربة يجب أن تسير سيرًا محكمًا وأن تتبع خططًا معروفة وألا تكون مغربة شاملة مهملة غير منظمة ولكن تكون مغربة دقيقة تستجيب للحاجيات المغربية، وتستجيب الى خلق ذلك المستوى العالي الذي نريد أن نرى فيه شعبنا يعيش ويترعرع، فنحن منكبون على هذه المشكلة والمغرب حينما ينكب على مشكل التجارة ومغربتها لا يعتقد أنه متناقض مع نفسه، فهناك من يقول كيف يمكن للمغرب أن يصرح بأنه تحريري وبأنه يحب حرية العمل والمعاملات، والحالة هذه أنه يريد أن يمغرب جميع القطاعات التي بيد الأجانب ؟ أقول لا، هناك فرق بين التأميم وبين المغربة من جهة وكما قلنا آنفا هناك مغربة دون مغربة، وكما قلت أخيرًا إملاء الميادين التي استثمرت فيها رؤوس الأموال الأجنبية، من عهد الحماية الى يومنا هذا فيها من الميادين ما يمكن مغربته في الحين والحالة هذه أن هناك ميادين أخرى صناعية وفلاحية مثلا نحن في أشد الحاجة الى رؤوس الأموال الأجنبية ونحن مستعدون لاعطائها الضمان الكامل ولنا الأمل في أن الأطراف المعنية، ستعير اعتبارًا لموقف المغرب وستنظر بعين التقدير الى أننا نريد أن نحل هذه المشاكل حلا مطابقًا لسياستنا التي سرنا عليها دائماً، ألا وهي حل المشكل بالتفاوض وعن طريق الحلول القانونية التي لا تضر بطرف ولا بطرف.

هذه شعبي العزيز، بعض الأفكار وبعض التوجيهات التي رأينا من واجبنا بهذه المناسبة أن نلقيها على مسامعك، بعض الأفكار، وبعض المنجزات، وبعض المذاهب في الميدان الداخلي، ولا نريد ان نختم كلمتنا هذه دون ان نمر بالميدان الخارجي ميدان سياستنا الخارجية، فغير خاف عليك شعبي العزيز، الظرف الدقيق الذي يعيشه العالم العربي الآن، إنه وجد نفسه أمام اختيارات وان بعض الدول العربية رأت وارتأت أن تختار مواقف وأن تقف مواقف، وإنني هنا بكل صراحة لأعتبر أن صديقنا الرئيس أنور السادات كان من القادة الشجعان الذين عرفوا مخاوف الطريق، ولكن مع ذلك ساروا في الطريق، وهنا أقول له ولمن بلده محتل : المغرب لا يعطيك أي درس ولا يلقنك أي درس بلدك محتل والمغرب مستعد لاعانتك أنت وغيرك على تحرير الجزء المحتل من بلدك شريطة أن تحتفظ كما قلت وصرحت به بحقوق الشعب الفلسطيني حتى لا يضيع كما ضاع في الماضي فهنا أقول، هنا أقول للصهاينة إنهم عليهم أن يعلموا أن الخطوة الجريئة التي قامت بها الجمهورية العربية المتحدة هي خطوة ستكتب في سجل الخطوات الحكيمة، ليعلموا أنها خطوة، ليست خطوة جبن أو خطوة خوف، ولكن خطوة الحكمة تكون دائما منطلقة من القوة ومن القدرة على الحرب، ليعلموا أننا عرب سنسير في طريق السلم ما أمكن مطابقاً لشرفنا وكرامتنا، ولكن ليعلموا أنهم لا يمكنهم أن يتمادوا في طغيانهم وأن يفسروا حكمتنا ضعفاً، وكما قلنا مرات بعد مرات :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهنا أتوجه الى الدول الأربع فأجعلها أمام مسؤولياتها وأقول لها في يوم من الأيام صرحت دولة



عربية أنها مستعدة ان تراجع الموقف بالنسبة لاسرائيل فإذا أنتم لم ترغموا هذه الدولة على ان تراجع موقفها فسوف ترتكب هذه الدول الأربع العظمى جريمة بالنسبة للتاريخ لا تغفر.

التفتح أساس سياستنا الخارجية

وفي الميدان الخارجي كذلك في السنة الماضية استعادت الدولة المغربية والدولة الفرنسية علاقاتهما على مستوى السفراء وكان لهذه الاعادة للعلائق العادية أثر محمود على سياستنا المشتركة مع فرنسا وأتاحت لنا هذه السياسة زيارة فرنسا والمذاكرة مع رئيسها صديقنا فخامة الرئيس بومبيدو.

وإننا لنؤكد هنا أننا وجدنا فيه عزما أكيدًا على السير مع المغرب في سياسة التعاون والاحترام المتبادل، كما قررنا أن نلبي دعوة صديقنا فخامة الرئيس ريتشارد نيكسون لزيارة الولايات المتحدة في شهر أبريل المقبل[1] ونحن مسرورون بهذه الزيارة وستتيح لنا الفرصة لمناقشة المشاكل المتعلقة بين البلدين ولرفع جميع وكل إشكال يمكن أن يفسره المفسرون حول علاقاتنا بالولايات المتحدة كما سيتيح لنا الفرصة بأن نتدارس معه الأوضاع الدولية وبالأخص الوضع في الشرق الأوسط ولا أريد هنا أن أذكر مسائل أخرى منها مثلا لقاؤنا بالرئيس أبومدين الهواري ولقاؤنا بالرئيس المختار بن دادة، في ميدان سياستنا الخارجية.

ففي الحقيقة هذه اللقاءات لقاء تلمسان، ولقاء نواذيبو، ليست لقاءات من ميدان السياسة الخارجية، ولكن أقول السياسة العائلية فكل منا ينتمي الى أسرة إفريقيا الشمالية، وكل منا ينتمي الى جهة تريد أن تثب برجالها وخيراتها وثبة تجعلها في مقدمة الدول المتحررة في إفريقيا فأتاحت لنا هذه اللقاءات أننا نحنا إلى المستقبل ونظرنا اليه ووضعنا له أسسًا ووضعنا له خططًا.

وهكذا سنجعل نفسنا وأبناءنا وأبناء أبنائنا في مأمن من كل من يريد أن يعكر صفو هذه الدول التي وجب وجب عليها أن تعيش متساندة، وأن تعيش متعاونة.

شعبي العزيز :

لا أريد أن أختم كلمتي هذه دون أن أشير بايجاز إلى مؤسساتنا الدستورية، فالسنة الماضية رأت وشهدت عملا جليلا في الميدان الدستوري فقمنا بالاستفتاء واستفتيناك فأفتيتنا جزاك الله خيراً بما رأيته مطابقًا لضميرك وبما رأيته مطابقًا لنواياك وبعد ذلك فتحنا لك شعبي العزيز مجال الانتخابات فانتخبت بكل حرية من رأيته صالحًا للدفاع عن مصالحك وحقوقك، ولم يبق الآن إلا أن يكون ممثلوك عند حسن ظنك بهم وأن يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأن يكونوا كما قلت لهم واعين أولا بحاجياتك ثانيًا، بوسائلك وأن يجدوا في نفسهم وفي تجربتهم القدرة على أن يجمعوا بين الوسائل والمطامح ليهيئوا لك اليوم ولأبنائك غداً عيشاً رغيداً وحياة كريمة. وحياة كريمة.

شعبي العزيز :

إننا لن نصل الى هذه الغاية المنشودة والغرض المخطوب إلا إذا سادت الأعمال التي نحن وإياك مطالبون بالقيام بها روح الاخلاص للوطن والوفاء لأهداف نموه وازدهاره وإيثار صالحه على ما يمكن أن يعلق بالنفس

---

(1) تأجلت الزيارة الى موعد آخر.

ويصيب الفؤاد من أغراض لا تتلاءم وهذا الصالح ولا تتلاق معه على صراط مستقيم.

وإن من جملة ما يشغل بالنا أن ينعدم في عدد غير قليل من النفوس والضمائر الوازع الذي يكبح جماح الأهواء ويكف عن الطمع في غير ما شرع من ثراء ويمنع غريزة الكسب بالوسائل التي تأباها الاخلاق الصحيحة السليمة من التصرف المنكر الذي يستبيح ما ليس بمباح وإذا كان هذا الداء الوبيل قد ظهرت أغراضه في طائفة ممن خولتهم الدولة نصيباً من نفوذها فنسوا ما عليهم من واجب الاستقامة والنزاهة وحبذت اليهم أطماعهم أن يستدروا موارد محظورة مقابل ماهو مفروض عليهم أن يقوموا به بحكم المنصب الذي أسندته الدولة اليهم، فان عدوه التي كانت تبدو مستعصية على العلاج قد أمكن استئصالها وتيسر علاجها.

وسيكون من أسباب انتشار الطمأنينة في نفسنا أن يستقر فيها الاعتقاد بأن الضمائر استقبلت من أمرها ما استدبرته وان البصائر والعقول أصبحت تزن الأشياء وتقيسها بأوزان غير الأوزان المختلة والمقاييس المدخولة.

وبالاضافة الى هذا فان المصلحة العليا للبلاد تقتضي ان نخطو الخطى الشاسعة لاكتساب المعارف على اختلاف أنواعها وخاصة منها ما هو كفيل بأن يدفع عجلة سيرنا دفعًا سيستحثها الى قطع المسافات البعيدة التي تفصلنا عن دول تنتقل من حال انتقالا يذهل العقول ويبهر الأفكار ويحير الأذهان.

وإذا كان الدهر نابنا فيمن نابه من الأمم بما فت في سعينا وعاق عن السير وحال بيننا وبين مواكبة الركب الزاحف فالعزم منا وطيد على اعداد السير وحث الخطى لتدارك ما فات وتلافي وجوه النقص واستئصال أسباب القصور.

وإن شعبا أتاه الله ما أتاك — شعبي العزيز — من بصيرة وذكاء وعقل وادراك ورغبة في العمل المبدع الخلاق ووهبك من همة طافحة الى العلياء وعزيمة معروفة بالقضاء لحري أن يبلغ من مقاصده وآماله ما يرقى به مقامه ويسمو، ويرتفع به شأنه ويعلو في حظيرة الأمم ومحافل الانام.

شعبي العزيز :

إن روح البطل الذي نكن له الاعظام والاجلال والذي وضع عنا ما كان يؤودنا من آصار واغلال والدنا جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، وأغدق عليه رحمته وشمله بواسع غفرانه وأسكنه جنة رضوانه وبوأه مكان صدق بين أوليائه واصفيائه، إن روحه لتهيمن علينا كل ما آن أوان هذه الذكرى وحان موعد الاحتفال بها، فإلى الله نتوجه بالدعاء أن يجازيه الجزاء الأوفى ويثيبه على ما أعطى هذه البلاد وأسدى ثواباً متصلا ما اتصلت الدهور لا ينضب له معين، ولا يغيض له فيض ولا ينقطع ولا يبلى.

فلما استخلفنا الله على عرش آبائنا المقدسين نهضنا بالأمانة يؤيدنا الايمان بأن تسديد الله لخطانا مكفول بفضله وكرمه، وأن توفيقه ميسور بعونه ومنه وتلقينا المسؤولية، تعززنا الثقة بأن مؤازرتك مقرونة بمساعينا ومساندتك مضمونة لرغائبنا ومطالبنا.

ومنذ تلك اللحظة المشهودة التي أعلنت فيها مبايعتك لنا والاستمساك بعنايتنا ورعايتنا والقلب، شعبي العزيز مغمور بك والوجدان موقوف عليك والخواطر حائمة حول غدوك ورواحك واصباحك وامسائك فلا تنصرم برهة من زمان ولا تتجرم حقبة من حقب أيامي إلا كانت مليئة بالنظر فيما توده وتهواه وتشرئب اليه نفسك وتتمناه وتشفق منه وتخشاه وتعزف عنه أو تتحاشاه فأنت دأبي وكدي كيفما تصرفت بك الأقدار وقبلة



الأفكار وقصدي مهما بعدت الديار أو شط المزار وأنت الأليف الذي لا يفارق مكانه من الخاطر ولا يبرح، والجليس الذي لا يمل ولا يشفي والأنيس الذي لا يقاطع ولا يسلي والقادم المقيم الذي لا تستبطىء منه الرجعة والعودة والاياب ولقد أدركت شعبي العزيز ما لك في قلبي من وداد قديم وحب لا يستقيل ولا يلين فبادلتني صفاء بصفاء وحبًا بحب ووفاء بوفاء وشاءت عناية الله أن نسير على نهج واحد، ويلتقي بالتقائنا الجنان السعيد وتستفيد بلادنا المخصابة المعطاء من عزمنا الصادق وجهدنا الواثق أجل الفوائد وأحسن العوائد.

ابتهالات

اللهم اجعل الآصرة الوثيقة العرى الجامعة بيني وبين شعبي آصرة مكتوباً لها الاسترسال والبقاء وأدم ما أسبغته علينا من نعمة الوفاء والولاء، ومكنت له في قلوبنا من ألفة خالصة ووداد لا يحول مع الأيام المستحيلة، وأنر لنا سبيل هداك ورشادك ولا تحرمنا من كريم تأييدك وسدادك، اللهم إني أستوهب فضلك بقلب خاشع، وأستمنح رضاك بنداء ضارع فثبت قدمي بالهامك وضاعف عزمي بجميل إفضالك وإنعامك، اللهم انك أضفيت علي من عوارفك الغراء وأسديت الي من أياديك البيضاء ووهبتني من الملك والرئاسة والجاه والسلطان ما أرجو أداء شكره بالعمل الصالح والسعي النافع والجهد الناجع.

فاجعلني اللهم من الهداة المهتدين والقادة المصلحين والساسة الراشدين الذين خلدت سيرتهم بين السير وتركت ذكرهم عبرة من أبلغ العبر وبوأتهم مكانة عبادك المكرمين وأوليائك المقربين، اللهم إنك النصير والظهير والمستجيب لدعاء اللائذ بك والعائذ والمستجير.

«رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين».

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

القي بالرباط

الأربعاء 5 محرم 1391 — 3 مارس 1971